الاناسة الثقافية ضمن طروحات الاتجاه الانتشاري

هكذا فسح المجال مع فرانس بواس للاهتمام والتركيز على دراسة الثقافة أكثر من الاهتمام بدراسة المجتمع، لقد صار الاهتمام البحثي مركزا على المعتقدات، الدين، اللغة، الأساطير، الجوانب المادية للثقافة، التقنيات، الرموز، عمليات الاتصال، كل هذا على حساب ما كان في مراحل سابقة من التركيز على دراسة النظم الاجتماعية.

لقد انتعش الاتجاه الانتشاري مع المجهودات والطروحات المعرفية والمنهجية الجريئة التي جاء بها فرانس بواس:" 1858-1941" والتي كانت موجهة بالخصوص لأصحاب الاتجاه التطوري، وكانت جملة المجهودات العلمية والبحثية التي قام بها من كانوا يؤمنون بطروحات الاتجاه الانتشاري، قد شكلت لبنات أساسية في نمو وازدهار الأناسة الثقافية لاحقا.

على الرغم من محدودية انتشارها جغرافيا، حيث كانت الانتشارية كاتجاه جديد في الأنثروبولوجيا محصورة في بعض الجهات من القارة الأوربية، وتحديدا في ألمانيا، وبصفة أقل وأكثر محدودية في المملكة البريطانية، كما كانت أكثر قوة لاحقا في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الجهود البحثية ضمن البلدان السالفة الذكر قد ساهمت في ارساء دعائم الأناسة الثقافية، حيث عرفت فترة من الحيوية خصوصا خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين.

ففي ألمانيا شكلت طروحات الباحث الجغرافي :"راتزل 1844،1904" منطلقا أساسيا وابتدائيا للدراسات الاناسية في بعدها الثقافي، حيث أكد راتزل على أهمية الهجرات حيث منة خلال هذه الأخيرة تحدث عمليات انتشار للتقنيات والتكنولوجيا حتى في مستوياتها البسيطة، وكذا انتشار الاختراعات، ومن خلال هذا يحدث الاحتكاك بين الثقافات، وغالبا ما تفرض الثقافة الغالبة أو المتفوقة نفسها على الثقافات الأخرى

ثم جاء تلاميذ راتزل وقاموا بتطوير أفكاره في هذا السياق من الاهتمام بانتشار الثقافة، من أمثال :" جريبنر 1877، 1934" و " فروبينوس 1873،1938" ومن أبرز المفاهيم التي كانت وقتها محلا للنقاش و أكثر حضورا هو مفهوم :" **الدائرة الثقافية**" ويمكننا القول أنها عبارة عن مقولة :" نظرية" ألمانية محضة، وهي تنطلق من فرضية أن البشر ليسوا كلهم مخترعين، وحاولت تفسير التشابه في الجوانب الثقافية لدى البشر على أنه بسبب عمليات الانتشار فحسب، والأصوب حسبهم هو وجود مجموعة من الثقافات

الأساسية والتي تميزت بمجموعة من السمات الثقافية المخصوصة، ظهرت هذه الثقافات الأساسية في بعض المناطق من المعمورة، كانت هذه المناطق قد شكلت ما يمكن تسميته بالمركز، ثم انتشرت من هذه المراكز الى مناطق أخرى عبر مجموعة من الآليات المختلفة كالهجرة، الاستعمار والغزو، التجارة، الاعارة الثقافية...حيث ظهرت عمليات من خلال هذا الاحتكاك مع الثقافات الأساسية ذات المركز، كالتلاقح الثقافي، الانصهار الثقافي مما نتج عنه بعض العناصر الثقافية التي تميز الثقافات عن الثقافات الأساسية ذات المركز الأول.

وكان الألمانيان :" بومان، و سترمان" قد طبقا الطريقة أو المنهج الذي جاء به راتزل وتلاميذه من بعده، فقاما بإجراء بحث حول شعوب افريقيا وحضارتها، حيث تم توظيف منهج أو طريقة :" الدائرة الثقافية/الحضارية" في عملية التقسيم، حيث يحصل أن يتم التصنيف وفق وجود عدد من السمات المشتركة و المتشابهة آخذين بعين الاعتبار في عملية التصنيف الثقافي البعد الاثني أو السلالة، ونوع الأنشطة الاقتصادية من مرحلتها البسيطة حتى المستوى الأعلى المعاصر، بالإضافة الى نوع الديانة والممارسات الدينية، ونوع التنظيم القرابي أو العائلي وكذا نوع التنظيم السياسي السائد.

بالإضافة الى الاستعانة بما توصل اليه تلاميذ راتزل، فقد تم الاعتماد على نوع من الصرامة المنهجية عند اجراء البحوث من قبل الألمانيان :" بومان، و سترمان"، حيث تم استعارة منهج الأمريكيين في بحوث الدراسات الاناسية، حيث يستوجب المقتضى المنهجي أن يقوم الباحث بتفكيك الثقافة الواحدة الى السمات التي تشكل مجتمعة الثقافة الأم. من خلال تفكيكها الى سمات ثم الى عناصر ثقافية في مرحلة أكثر دقة وتفكيكا، من خلال تحديد مثلا: (أنواع اللباس، الوسائل الفلاحية، وسائل القنص والصيد، الأواني المستعملة، نوع وأشكال وطرائق الزواج، شكل وطرائق الملكية.....) وفي مرحلة أخرى قد يتم جمع هذه الأجزاء فينتج ما يسمى ب:" المركبات الثقافية" وهي تتضمن أو تستغرق السمات الثقافية التي تنتمي الى الثقافة الكلية أو الثقافة الأصل.